المحاضرة الثامنة

الحضارة الهندية

تاريخ الهند : تحتلّ الهند، موطن الحضارة الهندية، مساحة تزيد عن أربعة ملايين كيلومتر مربّع، وتقع في القسم الجنوبي من قارّة آسيا. تمتاز بسورها الجبلي الضخم الذي لم يحُلْ دون وصول المؤثرات البشرية والحضارية الخارجية، فعن طريق الممرّات الجبلية عبرت إلى الهند شعوب مختلفة حاملة معها مختلف منجزاتها الحضرية، وكانت أبرزها الآريون، الفارسيون، اليونانيون، العرب، المغول. فأقامت الهند علاقات تجارية وثيقة معها خاصّة العرب. ونتيجة لذلك أضحى الشعب الهندي خليطا من عناصر مختلفة تتكلّم لغات متعدّدة، إلا أن ذلك لم يحُلْ دون صَهْرِ هذه العناصر بطابع خاصّ، هو طابع الحضارة الهندية.

تراث الهند :

أ- **الفلسفة** : للهنود في مذاهبهم الفلسفية بابان أساسيّان :

1- **المذاهب الأستيكية** : وهي التي تؤمن بأصول الدين، وتسلّم بالكتب المقدّسة، ولكنّها ترفض تقييد حرّية الفكر مهما بلغت من الإلحاد.

2- **المذاهب الناستيكية** : وهي التي تشكّك في الدين، وتسخر من الكهنة، وترفض فكرة الحياة الثانية، ولا تعتقد إلّا بالمادّة المحسوسة.

ب- **الأدب** : دوّن الهنود أفكارهم باللغة السنسكريتية، ووضعوا لها أصولا نحوية، إلّا أنّ التعليم الهندي بقي شفهيا في غالبه، وكان للروّاة دور بارز في حفظ تراث الهند ونقله عبر الأجيال. ففي الأدب الملحمي وضع الهنود أطول وأشمل ملحمة هي "الماهابهاراتا"، وملحمة "رامايانا". كما امتازت المسرحية الهندية بطول فصولها وتعدّد المناظر في كلّ فصل، وعدم التقيّد بوحدة الزمان والمكان.
والملاحظ على الأدب الهندي عموما هو كثرة الحكايات الخرافية والأساطير الغريبة، أما الشعر فقد برز فيه شعراء كبار في مختلف أشكاله وأبوابه : الغنائية والحِكَمية، والملحمية والوجدانية، وكان "تولسي" و"كابر" من أعظم الشعراء في الهند.

العلوم : وقد كانت العلوم الأكثر ارتباطا بالدين أسبق من غيرها في الظهور والتقدّم، وعلى رأسها علم الفلك لارتباطه بفنّ التنجيم، ووقد توصّل علماؤه إلى تعليل ظاهرتي الكسوف والخسوف والإعتداليين والإنقلابين، وقالوا بكرويّة الأرض ودورانها حول محورها، وشرحوا نظرية الجاذبية، بل وقد قسّموا السنة إلى 12 شهرا، والشهر إلى 30 يوما، واليوم إلى 24 ساعة ... كما برع الهنود أيضا في الحساب وعلم الجبر لكنْ بقوا متخلّفين في الهندسة.

وقد أحرزوا تقدّما ملحوظا في الفيزياء والكيمياء والطبّ، فبحثوا في الذرّات والعناصر ومهروا في الصباغة والدباغة والزجاج والاسمنت، وكذلك في التكليس والتقطير والتصفية.

وقد برزوا أيضا في علم التشريح ودراسة وظائف الأعضاء، وشخّصوا الأمراض وأجروا العمليّات الجراحية ووصفوا العلاج لكثير من الأمراض.

التراث الفنّي : تعود أقدم الآثار الفنّية إلى عهد "أشوكا" حيث بدأ استخدام الحجر الرملي والأعمدة المنفردة ذوات التيجان بشكل رؤوس حيوانية. وقد كانت معظم هذه المباني هياكل نصف كروية أو أديرة قرميدية أو قصورا حجرية ضخمة، كما ظهرت آنذاك النقوش البارزة المحفورة لمشاهد طبيعية أو حيوانية مختلفة، وكان تأثير الفرس واليونان بارزا في كلّ تلك المنجزات، لكن مع الفتح الاسلامي دخلت

إلــى الهنــد عــادات ومــؤثّرات فنّيــة ذات طــابع إســلامي ســواء فــي بنــاء المســاجد والمــآذن، أو حتّــى فــي بنــاء المنــازل والقصــور، لكــن -وللأســف- فمــع المغــول عــادت المــؤثّرات الفارســية إلــى البــروز، وعنــدما غــزا الأوروبيون الهند طبعوا تلك المنجزات الفنّية بطابعهم.